## ٤ ـ التحدي الفكري للحضارة الإسلامية[١]

لا يتناول هذا الموضوع التحديات المستقبلية فقط: بل هو تحد بحد ذاته إذ إنه يجعلني أقتدي في تصرفي بالأنبياء. وأقر هنا بأن أي مسلم سيشعر بعدم الارتياح، فالملك بيد الله وحده عز وجل، وهو الذي يسيِّر كل شيء؛ لهذا أقول الآن وليس فقط في نهاية هذا الباب: والله أعلم.

يجازف الإنسان عندما يحاول التكهن بأحداث المستقبل. ويجازف أكثر إذا حاول التكهن بالمستقبل، دون اعتبار للماضي، فالتاريخ وأمثلته ودروسه هي وحدها الأسس التي يمكن أن نبني عليها توقعاتنا.

### التاريخ الإسلامي: أمثلة ودروس

توجد بالطبع عدة استنتاجات يمكن استنباطها من التاريخ الإسلامي فيما يتعلق بموضوعنا:

---

(١) هي محاضرة الدكتور هوفمان ألقاها في معهد الأبحاث الإسلامي بجامعة إسلام أباد العالمية في إسلام أباد، وقد أضفناها كجزء من هذا الكتاب نظرًا لمحتواها، فموضوع هذا المقال وثيق الصلة بالمحاضرات التي ألقاها الدكتور هوفمان ضمن سلسلة المحاضرات في ذكرى كرم مراد.

**الطرح الأول:** لقد كان هناك دائمًا عنصر فكري في التاريخ الإسلامي:

فالله عز وجل في كتابه العزيز يأمر الناس بالمشاهدة والتفكير والتأمل واستخدام عقولهم لفهم العالم وأوضاعهم فيه، والقرآن الكريم هو في الواقع الكتاب المقدس الوحيد الذي ينادي بذلك، لذلك فقد كان الدين الإسلامي منذ فجر الإسلام ديناً عقلانياً بامتياز، وكان هذا النداء العقلاني والمنطق الفكري في تعاليم الدين الحنيف سببًا في سرعة وسعة انتشاره خلال القرن الأول بعد الهجرة.

**الطرح الثاني:** لقد هيأ الإسلام التدريب الفكري منذ البداية:

هذا صحيح. فالإسلام دين وليس فلسفة، ولم يكن محمدًا ﷺ أستاذ لاهوت، بل كان رسولاً من عند الله، غير أن الإسلام استوجب منذ البداية نشاطًا فكريًا، وقد بدأ هذا النشاط بصورة جمع وتنقيح وتنظيم سور القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وفي هذا الإطار كان المسلمون أمثال: الحسن البصري (توفي عام ٨٠١م) ومالك بن أنس، وابن إسحق، والبخاري (٨١٠-٨٧٠م)، والطبري (٨٣٩-٩٢٣م) وزملائهم هم الذين رفعوا علم التاريخ واللغويات إلى مستوى لم يسبق له مثيل، والفقه إلى أعلى مستوى كان قد وصله القانون الروماني من قبل.

**الطرح الثالث:** الإسلام - رائد فكري على مدى خمسمائة عام:

حكاية تطور الحضارة الإسلامية في دمشق وبغداد ولاهور وسيفيل وغرناطة والفسطاط والقيروان وفاس حكاية معروفة. لقد أصبح المسلمون خزنة الأعجوبة الفكرية الإغريقية القديمة، وأنتجوا أعجوبتهم العربية بتطوير وابتكار تراث كلاسيكي؛ فمآثر الفكر الأوروبي في عصر النهضة لم تكن لتتحقق لولا ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م) وابن رشد (١١٢٦-١١٩٨م) والبيروني (٩٧٣-١٠٥٠م) والخوارزمي، والرازي، وابن الهيثم (٩٦٥-١٠٤٠م)، وابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٧٨م)، وابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) - وكل واحد من هؤلاء عملاق من عمالقة الفكر في تاريخ البشرية.

**الطرح الرابع: الدين الإسلامي الحنيف لم يكن دين فكر:**

من الخطأ أن نعرض صورة مغايرة للواقع بالادعاء بأن أشخاص مثل: ابن حنبل (٧٨٠-٨٥٥م)، أو الأشعري، أو ابن حزم، أو ابن تيمية (١٢٦٢-١٣٢٧م) ليسوا مفكرين؛ لأنهم تمسكوا بالدين الحنيف. فهذا يشبه الادعاء بأن عمانوئيل كانت (١٧٢٤-١٨٠٤م) أو وتجنستين (١٨٨٩-١٩٥١م) كانا من المناهضين للعقلانية؛ لأنهما أنكرا الغيبية الماورائية.

صحيح أن ابن حنبل قد حاول حماية العقيدة الإسلامية من الفلسفة اليونانية، وصحيح أن الأشعري في نقده إلحاد لنظرية المعرفة قد أنكر جدوى الاستنتاجات الغيبية، وصحيح أن ابن حزم رفض "القياس" سبيلاً إلى شمولية تعاليم القرآن والتفسير لتحقيق فهم أفضل للنصوص القرآنية المتعارضة، وصحيح أن ابن تيمية أدان الأفلاطونية الجديدة والغنوسطية لتغلغلها في الإسلام عبر الدوائر الصوفية، ولكن كل من هؤلاء بنى موقفه على تحاليل فكرية واضحة، وكانوا كما الغزالي (١٠٥٨-١١١١م) من قبلهم قد درسوا خصومهم دراسة مستفيضة لكي يتمكنوا من قتالهم.

**الطرح الخامس:** المذهب العقلي يعني التعددية:

لقد ولد الإسلام في بيئة سياسية وثقافية متعصبة جدًا كما يستدل من النزاعات التي كانت قائمة بين الكنائس المسيحية: الروم الكاثوليك ضد المسيحيين الأرثوذكس، والمسيحيون الأرثوذكس ضد الآريين والنستوريين والأرمن والأقباط. أما على الصعيد السياسي، فكان يحكم العالم ملوك ورثوا السلطة أو اغتصبوها بحد السيف.

على نقيض ذلك، كان العالم الإسلامي ينعم بازدهار فكري طورته التعددية، وكان أبو بكر الصديق أول خليفة مسلم منتخب لا تربطه بسلفه صلة قرابة أو دم.

أما في الفقه الإسلامي فقد تطورت بضعة مذاهب لم تقتصر على توزيع إقليمي، بل كانت تدرس مجتمعة وفي الوقت نفسه في أماكن مثل مكة المكرمة - وهذا يعد إنجازًا فكريًا لم يعرفه أي نظام قانوني سبقه أو تلاه.

ويخطئ المستشرقون الغربيون عندما يلمحون أن الإسلام كان دائمًا وحدة واحدة من حيث المكان أو ساكنًا من حيث الزمان. ففيما عدا التوحيد وحقيقة أن محمدًا ﷺ هو خاتم

الأنبياء والمرسلين، كان كل شيء، بما في ذلك شروط تطبيق أركان الإسلام الأربعة الأخرى، مفتوحًا للنقاش. وقد أحدثت فكرة التقليد - وهي ليست بحد ذاتها لا منطقية على الإطلاق - الكثير من الضرر من خلال البدع الخانقة والتي تجاوزت نطاق العقيدة والعبادة والمعاملات. ولكن حتى في ظل التقليد لم يتوقف العالم الإسلامي أبدًا عن التطور فكريًا، وخارج الشيعة أيضًا، كما أثبت أشخاص مثل ابن العربي (١١٦٥-١٢٤٠م) والسرهندي (١٥٦٤-١٦٢٤م) وشاه ولي الله (١٧٠٣-١٧٦٢م) ومحمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٨٧م).

أما في الفلسفة، فكانت المعارك الفكرية شرسة إلى درجة أنها لو حدثت اليوم لأدت إلى دعاوى قذف وتشهير في المحاكم الجنائية، وما عليك هنا سوى قراءة النقد المدمر للفلسفة الذي كتبه الغزالي (تهافت الفلاسفة) وإجابة ابن رشد التي تضاهي نقد الغزالي (تهافت التهافت). أليس هذا منعشًا للفكر؟ وألا يؤكد تنوع الآراء والذي يمكن أن يكون نعمة، كما قال رسول الله ﷺ. ولا حاجة للقول إنه لو عاش ابن رشد في عصرنا هذا ونشر آراءه اليوم لقتله متطرف مسلم من متطرفي هذا الزمان باسم الله.

**الطرح السادس:** انعدام التعددية يعني الانحطاط:

لا أكون صادقًا لو أنكرت أن الإسلام لم يكن دائمًا تعدديًا، فالصراعات التي دارت بين عائشة (٦١٤-٦٧٨م) وعلي (٥٩٨-٦٦١م)، وبين معاوية (توفي سنة ٦٨٠م) وعلي، وبين علي والخوارج كانت طاحنة دموية. كذلك كانت الصراعات بين الأمويين (٦٦١-٧٥٠م) والعباسيين (٧٤٩-١٢٥٨م)، وغيرها من الصراعات الأخرى.

ومن الواضح أن هذه المحاولات لتوحيد الرأي في الإسلام لم تقتصر فقط على تدمير الكثير من تعدديته الفكرية، بل كانت نذيرًا ببداية مرحلة انحطاط لم يبدأ المسلمون بالاستفاقة منها إلا مؤخرًا.

لقد كان انحطاط الدولة الإسلامية ناتجًا بالتأكيد عن عدة عوامل، منها الدمار الثقافي الذي أحدثه الغزو المغولي، والسيطرة الكاثوليكية على إسبانيا. وأدى انعدام الأمن السياسي والاقتصادي إلى تقهقر المسلمين فكريًا: فقاموا بخصخصة دينهم وتبسيطه ليصبح في مدارك عامة الناس، وأحالوه تزمتًا حتى أدق تفاصيله.

وهكذا استطاع الإسلام من خلال اختبائه أن ينجو من الاستعمار الغربي والسوفيتي حتى في ألبانيا والجزائر وقازاخستان وتركمنستان والشيشان وكوسوفو والصين. وهذه أخبار جيدة. أما الخبر السيئ فهو أن هذه الوقفة الدفاعية قد أدت إلى تهميش الإسلام سياسيًا وأصبح شبه تلمودي بسبب تشريعاته المفرطة، وفي هذا الإطار أيضًا تحولت الصوفية إلى نوع من أنواع الفنون الشعبية الإسلامية وأصبحت روحانيتها الأصلية طقوسًا وشعائر.

أحد العوامل الأخرى التي أدت إلى انحطاط الدولة الإسلامية كان عاملاً سياسيًا: فقد قمع طغاة الحكام النقد الديني، وأصبح الاستبداد ولا يزال نظام الحكم السائد في العالم الإسلامي. وتحرر الحكام من العلماء ومن الشريعة نفسها من خلال تشريع قوانين جنائية وضعية، وتحولت الرقابة إلى تبعية إلى أن واجه شباب القرن العشرين العلماء بالرفض عندما بدؤوا يؤسسون الحركات الإسلامية، وفي الخلاصة أقول: هناك تراث غني قادر على إيقاظ عقلانية الفكر الإسلامي في القرن الحادي والعشرين.

## سمات الحاضر:

ننتقل الآن من أحوال الإسلام في الماضي إلى أحواله في زمننا الحاضر، لقد أصبح العالم المعاصر اليوم ولأول مرة في تاريخ البشرية مستعمَرًا ثقافيًا من حضارة واحدة - حضارة الغرب. والحضارة الغربية أوروبية النشأة عززها الأسلوب المعيشي الأمريكي، وهي الفكر الغربي والتقنية الغربية والمنتجات الغربية والكثير من الأشياء الأخرى التي تسيطر على العالم، وقد بدأت هذه العملية منذ أواخر عصر النهضة الأوروبية لتجد أسسها الفكرية في عصر التنوير الأوروبي والذي يعرف أيضًا بمشروع الحداثة.

لقد أصبح العالم يتواصل بلغة واحدة كوكبية هي اللغة الإنجليزية، وهو إنجاز لم تدنُ اليونانية ولا اللاتينية ولا العربية أبدًا من تحقيقه.

كل هذا لا يعد غريبًا، إلا من حيث مداه، فالحضارات العظمى كانت دائمًا تنتشر تلقائيًا كماء يسيل على السفوح. ولكن الغريب والمدمر أن الإيديولوجية الغربية التي تجري عولمتها اليوم أيضًا: هي أول أيديولوجية تقوم بأكملها على

افتراضات إلحادية منكرة لوجود الله. ويسود اليوم نقد عمانوئيل كانت للغيبية ودحضه لإثباتات وجود الله، ووسم ماركس للديانات بأنها "أفيون الشعوب" والداروينية الاجتماعية القاسية التي نادى بها نيتشه، إلى جانب الكوارث المهولة التي أحدثها الغرب في العالم: الحرب العالمية الأولى، والستالينية، ومحارق اليهود، والحرب العالمية الثانية، ودرسدن، وهيروشيما، والماوية، والتطهير العرقي.

ولكن الساحة المعاصرة تتميز أيضًا بسمات أخرى منها:

- الفيزياء الجديدة ما بعد نيوتن Newton بريادة بلانك Planck (١٨٥٨ ـ ١٩٤٧م) وأينشتاين Einstein (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥م)، وهان Hahn (١٨٧٩ ـ ١٩٦٨م) وهايزنبرغ Heisenberg (١٩٠١ ـ ١٩٧٦م).
- الرياضيات الجديدة بريادة فريج Frege (١٨٤٨ ـ ١٩٢٥م).
- علوم الأحياء الدقيقة والعلوم الطبية الجديدة
- تقنية الاتصالات الجديدة - أجهزة بيل جيتس Bill Gates.

## القرن الحادي والعشرين والإسلام:

في بيئة الحاضر هذه، وعلى ضوء أحداث الماضي كما وصفناها، ما الذي يمكن أن يحمله المستقبل للإسلام؟

**الافتراض الأول:** كونية الإسلام:

بفعل ثورة الاتصالات، سوف يصبح الدين الإسلامي - وهو كان دائمًا كوني الهدف - دينًا كونيًا بحكم الواقع في القرن الحادي والعشرين. فقد غزا المفكرون المسلمون فضاء الإنترنت.

**الافتراض الثاني:** المناداة باللغة الإنجليزية لغة للدعوة الإسلامية:

إذا لم يبدُ هذا النقاش مقنعًا، اقرأ أي عدد من أعداد مجلة مراجعة كتب العالم الإسلامي، أو اسأل علماء المسلمين المشهورين لماذا ينشرون دراساتهم الإسلامية باللغة الإنجليزية.

**الافتراض الثالث:** العلوم الإسلامية سوف تنتقل غربيًا:

من الواضح أن العلماء سوف ينشدون بيئة أكاديمية تسهل لهم إجراء أبحاثهم، مما يعطي ميزة هائلة للبلدان التي تضمن

الحرية الأكاديمية حيث لا يضطهد الناس بسبب نشر آراء غير مرغوب فيها. وقد سبق وأن حدثت هجرة جماعية للعلماء المسلمين المؤهلين نحو أوروبا والولايات المتحدة وكندا، أقتصر هنا على ذكر بعضهم أمثال: البروفسور محمد حميد الله، وفضل الرحمن، ومحمد أسعد، وفتحي عثمان، وطه جابر العلواني (القرن الثامن)، ورشيد الغنوشي.

ولا نفاجأ عندما نعرف أن أول جائزة نوبل في العلوم الطبيعية منحت في العام ١٩٩٩ لمسلم سني مصري يعمل في كل من ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

**الافتراض الرابع:** سوف يستمر تعاظم أهمية المفكرين غير الإكليريكيين:

لقد أدى فساد بعض العلماء وتزاوجهم مع الحكومات في الماضي إلى بروز مصلحين من غير الإكليريكيين، فالأفغاني، وحسن البنا، وسيد قطب، ومحمد أسعد، ومحمد إقبال، وأبو الأعلى المودودي، وعباس مدني وآخرون من قادة الحركات الإسلامية كانوا من الإكليريكيين، أي لم يتخرجوا من المدارس التقليدية التي يتدرب فيها العلماء.

رئيس المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا طبيب. ويدير الأطباء معظم المراكز الإسلامية في أمريكا. ورئيس مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية Council on American-Islamic Relations (CAIR) هو مهندس كمبيوتر مقيم في سانتا كلارا، ورئيس الخدمة الإعلامية الإسلامية في لوس أنجلوس هو اختصاصي مسالك بولية متخرج من جامعة هارفرد ومقيم في لوس أنجلوس. ولا شك في أن هذا الاتجاه سوف يستمر في النمو ليعيد إلى الإسلام مثاليته القديمة.

**الافتراض الخامس:** المسلمون سينتجون "مستغربين":

كان المسلمون في المدينة المنورة في الماضي على اتصال باليهود، وكانت أراضي النصارى غير بعيدة في شبه الجزيرة العربية. وبالتالي كانت المعرفة بديانات التوحيد الأخرى متوفرة محليًا.

ولكن الحال تغيرت فيما بعد باستثناء إسبانيا وصقلية مع تباعد الغرب والشرق. وبينما كان هناك مستشرقون مسيحيون منذ أن بدأ يوحنا الدمشقي (٦٧٥-٧٤٩م) بتشويه صورة الإسلام، لم يكن هناك مسلمون متخصصون في المسيحية إلى أن بدأ المسيحيون باعتناق الإسلام بأعداد كبيرة خلال القرن

العشرين، وقد أتاح هذا فرصة فريدة للعلماء المسلمين في هذا المجال.

**الافتراض السادس:** المسلمون يتناولون مسألة السنة:

من الواضح جدًا أن المسلمين لا يواجهون مشكلة قرآنية، بل مشكلة في السنة النبوية الشريفة. ولم يكن جولدزيهر، ومونجوليوث ، وشاخت (١٩٧٧-١٩٧٠) محقين في تشككهم التام، بل وكانوا أيضاً مخطئين تمامًا في قولهم بأن أجزاء من الأحاديث موضع شك. ويمكن أن يكون فضل الرحمن قد توصل في كتابه "الطرائق الإسلامية في التاريخ" إلى بيان سبب رئيس لهذا الوضع بقوله: إن المسلمين شعروا منذ أيام الإمام الشافعي (١٢١١-١١٨٢م) بأنهم ملزمون بكل الأشكال إلى الاقتداء في كل شؤونهم المعيشية برسول الله ﷺ.

وعلى أي حال سوف يتمكن المفكرون المسلمون في القرن الحادي والعشرين من التحقق إلى أقصى درجة ممكنة من صحة معظم ما ورد في السنة النبوية الشريفة باستخدام طرق جديدة للنقد التاريخي، بما في ذلك أساليب التحليل اللغوي بالحاسب الآلي.

**الافتراض السابع:** حالما يعالج المفكرون المسلمون مسألة السنة، سوف يضعون نماذج مقنعة للدولة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي بما في ذلك حماية حقوق الإنسان وحقوق المرأة.

منذ أن أملى رسول الله ﷺ المعاهدة الدستورية للجمهورية الفدرالية في المدينة المنورة، نادرًا ما حاول المسلمون بذل أي جهد فكري للتعامل مع مسائل الدولة والحكم. ومن الأمثلة على ذلك الماوردي ونظام الملك (١٠١٨-١٠٩٢م).

يواجه مفكرو اليوم تحدٍ مختلف؛ فهم يستطيعون، بل هم مجبرون أيضًا على وضع أسس نظرية جديدة "للديموقراطية" الإسلامية، أي لدولة ليست ثيوقراطية خاضعة لحكم رجال الدين بالمفهوم الشيعي، وليست ملكية أو مجتمعًا لا تحكمه الشريعة الإسلامية، وبهذا يجب عليهم أن يواجهوا التحدي الفكري الناتج عن دمج المفهوم الغربي لحقوق الإنسان ضمن الإطار القضائي للشريعة الإسلامية. ويتناول جزء من هذا التحدي مسألة إعادة حقوق المرأة التي أمر بها الله عز وجل

في كتابه العزيز إلى المسلمات في كل مكان من هذا العالم من خلال إعادة تفسير الآية ٣ والآية ٣٤ من سورة النساء والآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

**الافتراض الثامن:** يضع المفكرون المسلمون نظامًا للذمي المسلم:

يعد وجود ملايين المسلمين في بلدان غير إسلامية مشكلة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإسلامي، حتى بعد عودة السيطرة الكاثوليكية على إسبانيا، ولم يسبق لأي دولة أن شهدت مشكلة بهذا الحجم سوى الهند تحت الحكم البريطاني.

يحتاج هؤلاء المغتربون المسلمون إلى معرفة كيفية التصرف في ظل قانون أجنبي فيما يتعلق بمسائل الزواج والطلاق والميراث ودفن الموتى والذبح الحلال والربا، ونحن نحتاج كحد أدنى إلى مذهب يلتزم به المهاجرون المسلمون.

**الافتراض التاسع:** سوف يضع المفكرون الغربيون المسلمون طرقاً جديدة للدعوة إلى الله:

لقد عانى العالم الإسلامي على مدى مائتي عام من آثار عصر العقل في الشؤون العسكرية والصناعية والتجارية ولكن دون أن يفهم الخلفية الفكرية للظواهر الغربية العقلانية والعلمانية والتقدمية التي شكلت الحداثة.

أما اليوم، وبفعل جهود التعليم الاستعماري والهجرة الإسلامية إلى الغرب، أصبح لدينا عدد متزايد من المفكرين المسلمين الذين يستطيعون إلحاق الهزيمة بالإيديولوجية الغربية في عقر دارها وطبقًا لقوانينها.

ولربما شكل هذا أكبر تحدٍ على الإطلاق: إزالة الأوهام الأساسية للعقلانية التنويرية والثقة المفرطة التي توليها لمنطق ونضج واستقلالية الإنسان. أي بمعنى آخر خلع الإنسان عن عرش سيادته المفترضة وإعادته إلى الإيمان بالله بما يتوافق تمامًا مع الافتراضات الأساسية للعلوم والفلسفة المعاصرة.

يجب أن يبدأ المفكرون المسلمون بديكارت، وكانت، وهيوم، وكومتي دون الوصول إلى ما وصل إليه ماركس وداروين وفرويد ونيشته. فمهمتهم هي إعادة غرس الإيمان من خلال بيان: (١) غباء الإلحاد، (٢) تناقض الغنوسطية، (٣) احتمال ومعقولية وجود الله وبالتالي عقلانية الإيمان.

**الافتراض العاشر:** يتوقف المفكرون المسلمون عن الدفاع والتبرير:

العملية التي أنا بصدد وصفها تفترض مسبقًا بالضرورة - وتؤدي بدورها إلى إيجاد - مفكرين مسلمين يتصرفون بحزم دون اعتذار أو دفاع أو تبرير. وهنا نجد أن مسلمي القرن الحادي والعشرين بعيدون حقيقةً مائتي سنة عن إخوانهم المصريين في عهد نابليون N.polcon (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) ومائة وتسعين سنة عن تبريرات محمد عبده (١٩٤٨-١٩٠٥م).

**الافتراض الحادي عشر:** يجب على جميع المفكرين المسلمين أن يكونوا مفكرين:

مما أسلفت، يمكن أن يفترض البعض أن هناك دوراً خاصاً جدًا يجب على المفكرين المسلمين أن يؤدوه. هذا صحيح، ولكنه لا يعني أنه يجب عليهم أن يكونوا ناشطين إسلاميين، بل على العكس. فقد كان الدين الإسلامي منذ زمن بعيد يرتبط بالفقراء ودول العالم الثالث النامية والعمالة غير الماهرة إلى درجة أن ديننا أصبح يعد دين من هم أقل ذكاءً.

لذلك فإن أحد الإسهامات الرئيسة في نشر الإسلام هو أن لا يفعل المفكر المسلم أكثر من أن يبين بهدوء أنه أكاديمي ناجح، وأنه في الوقت نفسه مسلم ثابت الإيمان ملتزم بدينه. وبعض ردود الفعل الغاضبة التي أتلقاها ومسلمون آخرون مولودين في ألمانيا هي تلك المتلازمة تحديدًا: كيف يمكن لأي منا أن يختار ذلك الدين على الرغم من كونه على قدرٍ عالٍ من العلم وليس غبياً.

**الافتراض الثاني عشر:** سوف يصبح الإسلام الديانة السائدة في القرن الحادي والعشرين:

إذا صحت افتراضاتي، فإن افتراضي الأخير يمكن أن يكون توقع جازم بحصول ذلك، فالإسلام بإذن الله وبفعل تأثير المفكرين المسلمين يمكن أن يتحول إلى الديانة السائدة في القرن الحادي والعشرين، على الأقل في أمريكا الشمالية، موطن أسلوب الحياة الأمريكي، وفي أجزاء من أوروبا أيضاً - مع إحداث تأثيرات هائلة في بقية أنحاء العالم.

# أسئلة وأجوبة[١]

**سؤال: ما الذي يخشاه الغرب إلى هذا الحد من الإسلام؟**

**جواب:** يميل المسلمون في الغالب إلى التشدد في عرضهم للوقائع، ومثلما نجد أن النظرية والتطبيق لا يتوافقان باستمرار، وأشير هنا إلى السبب الأساسي لوجود هذا القدر من التركيز على الدين، وهو ناتج بالدرجة الأولى عن إثارة المشاعر خلال الحملات الصليبية؛ لهذا فإننا سنجد أنفسنا في موقف صعب ما لم نتوصل إلى وضع يتصرف فيه المسلمون في جميع أنحاء العالم بتسامح تام.

**سؤال: عندما يتحدث هنتنجتون عن الصراع بين الحضارات، هل يرمي إلى إثارة الغرب لوضع استراتيجيات معادية للإسلام تحديداً؟**

---

(١) بعض الأسئلة التي طرحت على الدكتور مراد هوفمان أثناء الندوة حول علاقات الإسلام والغرب، وأحوال المسلمين بشكل عام والمرأة المسلمة بشكل خاص.

**جواب:** السيد/هنتنجتون ليس بدائيًا إلى ذلك الحد، كما أنه شخص غير عدواني. وهو لا يرغب في قيام صراع حضارات، كما أنه يخشى عواقب نشوء صراع بين الحضارات؛ لهذا فإنني لا أعتقد بأنه وراء مؤامرة ما. فسياسة البشر وسياسة الدولة لا تقومان على نظريات، بل تعتمدان بشكل كبير على تقييم المصالح؛ لذلك ليس لهنتنجتون كثير من التأثير، فالولايات المتحدة تسعى إلى تحقيق مصالحها دون اعتبار للإطار النظري الذي حاول هنتنجتون إعطاءه.

**سؤال: هل يفتقر المسلمون إلى صقل الفكر؟**

**جواب:** بالطبع يقول الغرب: إن المسلمين يفتقرون إلى صقل الفكر، ولكن الغرب يحب مهارات معينة لا علاقة لها البتة بالفكر؛ كوسائل الإعلام على سبيل المثال، وهو باستخدامها يستطيع تتبع المسلمين إلى جذورهم؛ فالاستخدام الصحيح للإعلام يمكن أن يؤدي بالناس إلى المناداة بالأسلحة الكيماوية، أؤكد لكم هذا، فقد كنت في السابق أشغل وظيفة مدير عام للإعلام؛ إنني أعرف عم أتحدث، فبالإمكان نشر الأفكار بإعلانات مدتها خمسين ثانية في التلفزيون الذي

يشكل وسيلة إعلام قوية جداً، ولكن يجب أن نستغل وسائل الإعلام باحتراف، وهذا ما يفتقر إليه المسلمون عادة، فصورة باكستان يمكن أن تتحسن لو أنها قامت بتنفيذ برنامج علاقاتها العامة على درجة أكبر من الاحتراف، ويمكن قول الشيء نفسه عن دول إسلامية أخرى، إنها المهنية والاحتراف في التنفيذ، إذ لا يمكنك أن تقول ببساطة "لم لا تفهم، ألا تعرفني".

**الإسلام دين سلام - تعليق:** يعلق الدكتور هوفمان بإعطاء مثالين لتعزيز الإثبات بأن الإسلام لم ينتشر بالقوة، الأول هو مثال الحكم الإسلامي في الهند الذي دام ألف عام، حيث لم يكن هناك أي إكراه في الدين في أي مجال. فلو كان الإكراه أساس الحكم آنذاك لما بقي أي هندوس في شبه القارة الهندية، وهذا بحد ذاته إثبات لحقيقة أن الإسلام ليس دين إكراه كما يدعون هذه الأيام، فالدين الإسلامي كان طيلة تاريخه ولا يزال ديناً واقعياً وعملياً، كذلك فإن المسلمين طيلة حكمهم لإسبانيا والذي دام بضع مئات من السنين لم يكرهوا الناس على اعتناق الإسلام، بل تركوا الحرية التامة للديانات، ويبين هذا الإثباتان أن الإسلام دين مسالم جداً.

**سؤال: هل يجب أن يسمح للغرب بأن يملي جدول أعماله على المسلمين؟**

جـواب: إنني أوافق تمامًـا على أن المسلمين يجب أن لا يسمحوا للغرب بإملاء جدول أعماله عليهم، فهذه هي الطريقة التي يتبعها في فرض سياسته الاستعمارية، ولكن يجب أن أقول شيئًا قد لا يعجبكم: إنني مقتنع تمامًا بأن المجموعة الغربية لم تكن بأكملها استعمارية، ولكنها كانت قد بدأت عصر انحطاطها وكانت محاصرة، وقد تسبب الاستعمار بمشاكل، غير أنه لم يكن بالإمكان استعمارنا لو أنا كنا بعافية، وقد تلاشت تلك العافية قبل قرن أو قرنين من بدء عهود الاستعمار، ولو أننا استعدنا عافيتنا كمسلمين، أي لو أننا تخلصنا من الفساد والجهل والظلم، ولو أننا قلصنا الفجوة بين الغني والفقير، والتزمنا بدوام العمل والدقة في المواعيد والكثير من العوامل الأخرى بما في ذلك التراحم والإخاء، وغيرها، ولو أننا أحيينا القيم الإسلامية اليوم لنصبح مسلمين مخلصين، فأنا على يقين من أننا لن ندع الآخرين يستعمروننا أبدًا.

**سؤال: ماذا لو اعتذر البابا يوحنا بولس من المسلمين عن الماضي؟**

**جواب:** أتمنى لو أنه يفعل شيئًا آخر، ألا وهو الاعتراف بأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء المرسلين، فقد اعترفت الكنيسة الكاثوليكية في مجلسها الثاني المنعقد في فيينا في العام ١٩٦٦م بالإسلام طريقًا إلى الخلاص، ولكنها لم تعترف به وبالقرآن كنور على الدرب؛ لأن الكنيسة تخاف الاعتراف بأن القرآن يمكن أن يكون كتابًا منزلاً من السماء، فذلك يتسبب في صراعات داخلها، وبهذا لن يعتذر البابا، ولن يتحرك قيد أنملة باتجاه قبول محمد ﷺ كنور على الطريق إلى الفوز.

**سؤال: هناك جهود تبذل على الصعيد العالمي حول الأسس التي تقوم عليها الديانات المختلفة، وهناك اعتراضات على القيم الدينية باسم حرية الإنسان. ما هو الدور الذي يتوجب على المسلمين القيام به هنا: ليس كمن يدعي بأنه الأفضل بل كيف يمكن أن يبرزوا قيمهم الدينية؟**

**جواب:** لقد كنت أدعى باستمرار لحضور تجمعات تتناول هذا الموضوع، ولكنني كنت دائمًا أرفض حضورها لأنني لا أرى

جدوى لها، فالمطلوب هو أن يتناول الدين غرائز الإنسان الأساسية، وعلى الأخص غروره. ولا يمكن أن يتحقق ذلك ما لم يكن هناك التزام عاطفي، والدين الحق وحده يمكن أن يكفل هذا الالتزام العاطفي، ولا شأن بذلك بما يمكن أن يبتدع باسم العقل، هذا شيء، والشيء الآخر هو الخطر الذي يمكن أن ينشأ، فلو نظرت إلى الصورة الأخلاقية السائدة اليوم في مجال الإجهاض واللواط تجد أن المسلمين أبعد ما يكونون عن تقبل ذلك، وأبعد ما يكونون عن قبول الزواج بين مثيلي الجنس. والمسلمون هم الوحيدون الذين يتميزون بالصحوة التامة في مواجهة خطر الإدمان الذي يتهدد البشرية، واليقظة واجبة على كل منا، والإسلام في رأيي كالذهب عيار ٢٤ قيراط، وهي حقيقة يجدر بنا أن لا نخفيها.

**سؤال: كيف يمكن للإسلام المساعدة على تخفيف الإجهاد النفسي في المجتمع الغربي؟**

**جواب:** الكل تقريبًا في أمريكا يزور طبيبًا نفسيًا واحدًا على الأقل، وكثيرون يلجؤون إلى أكثر من طبيب نفسي، بيد أن من يؤمن بالطريقة التي يمضي فيها المسلم وقته وبأولويات الإسلام في الحياة، ومن يتوقف عن عمله خمس مرات في

اليوم للتركيز على ما هو منطقي وجوهري حقًا، لا يمكن أن يتعرض لأي إجهاد نفسي. وهذا ما تبين لي أثناء عملي، فكمية العمل ليست السبب الذي يؤدي إلى الإجهاد النفسي، بل هو الخوف من عدم القدرة على الوفاء بالالتزامات والتكيف مع ظروف العمل؛ ولهذا نجد أن المدراء يكونون عادة أقل عرضة للإجهاد النفسي وهم يعملون أكثر؛ لأنهم لا يمكن أن يخطئوا، فما يفعله المدير يعد دائمًا نهائيًا. فماذا لو علم الإنسان أنه لا يمكن أن يخطئ لو أنه أسلم نفسه لله، لا بد في هذه الحال أن يتلاشى الإجهاد النفسي، وأنا لا أرغب هنا بأي حال من الأحوال القول بأن أي شخص يعاني من الإجهاد والضغط النفسي لا يمكن أن يكون مسلمًا؛ قطعًا لا، ولكنني أعتقد أننا لو اعتمدنا هذا كاتجاه عام نوفر على أنفسنا زيارة الطبيب النفسي.

**سؤال: هل يستطيع المسلمون الالتقاء في مركز واحد في العالم اليوم؟**

**جواب:** يعاني المسلمون من عدم وجود نظام سياسي، وكل المسلمين يتمنون عودة نظام الخلافة، أما من وجهة نظر الأمة،

فلا يوجد أي شيء حاسم في الدول الإسلامية، وهو ما يجب أن لا يكون. فواقع العالم الإسلامي والدويلات غير الإسلامية في مجموعها هي مفاهيم فرضت على المسلمين إبان عهود الاستعمار، ونحن نجد أنفسنا خلافة دون خليفة، لقد وجهت اللائمة إلى المسلمين أيام ابن تيمية عندما قتل المغول آخر الخلفاء، وقد أدرك ابن تيمية في ذلك الوقت أنه رغم الضرر الناجم عن فقدان مركز الخلافة، فإن الشر الأكبر هو أن نفقد الشريعة، فطالما تمسك المسلمون بشريعتهم، استطاعوا الصمود دون مركز.

**سؤال: كيف نحد من الخلافات المذهبية بين المسلمين؟**

**جواب:** لا أقر هذا القدر من التعددية في الإسلام، ولكن لا يمكننا انتقادها كليًا، حيث إن ذلك يعني الموت الفكري للمسلمين. فمن الطبيعي أن يتوصل البشر في بيئاتهم المختلفة وخلفياتهم المختلفة ومشاكلهم المختلفة في عصور مختلفة إلى استنتاجات مختلفة، هذه هي حقيقة الأمر على ما يبدو، ولن يتوصل كل الناس إلى التفسير نفسه للآيات القرآنية.

**سؤال: ما الذي يجب عمله للاستفادة من مواهب النساء المسلمات؟**

**جواب:** إنني على يقين من أن معاملة المسلمين للمرأة قد تردت بعد فترة وجيزة من ظهور الإسلام، وعندما نتذكر أن امرأة هي التي حفظت القرآن الكريم -حفصة رضي الله عنها، وأن أصدق الأحاديث النبوية الشريفة روتها عائشة رضي الله عنها، وهي قادت الجيش في وقعة الجمل، وأن النساء كن يشاركن في الحرب في ساحات المعارك، فهن كن يجمعن السهام، وكن جنديات مقاتلات. ثم ننتقل إلى ما حدث للنساء بعد ذلك بوقت قصير. المشكلة هي أن لكل رجل أمًا، فإذا كانت النساء جاهلات، يكون الرجال جهلة، وهذا ما أعنيه فيما يتعلق بالحضارة، فما الذي نستطيع فعله؟ فإن كانت النساء قد تعرضن لغسل أدمغتهن فأصبحن غافلات عن حقوقهن، يصعب كثيرًا إجراء أي تغيير من خلالهن.

أما مساهمة المرأة في ألمانيا فهي الأكبر على الإطلاق، حيث قامت عشر نساء ألمانيات خمس منهن ولدن في دول عربية وخمس ولدن في ألمانيا، بترجمة القرآن الكريم إلى

اللغة الألمانية، وقد استغرقهن ١٥ سنة، ونشرن تفسيره في ٣٠٠٠ صفحة. وقد تكون هذه طريقة من طرق يمكن أن تتبعها المرأة لاكتشاف حقوقها ثم تناقشها مع الرجل دون أن تنتظر أن يخبرها الرجل ما هي حقوقها، وأعتقد بأنه يجب علينا أيضاً أن نركز على اكتشاف النساء لحقوقهن بأنفسهن بدلاً من قبول ما يقال لهن؛ فالقرآن الكريم موجود، ويمكن للمرأة قراءته وفهمه لتكتشف بنفسها، على أمل أن يؤدي هذا إلى حدوث تغيير.

**وضع المرأة - تعليق:** لقد تناول الدكتور هوفمان إلى جانب الديموقراطية وحقوق الأقليات موضوعًا شائكًا هو حقوق المرأة. وقد استشهد بالآية القرآنية: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[1] أي أن هناك علاقة قائمة بين الرجل والمرأة أعطى الدكتور هوفمان تفسيرًا لها. ويشير عز وجل في تلك الآية إلى الذكور بـ"الرجال"، بينما يشير إلى الإناث بـ"النساء". وهذا يعد مقامًا للرجل، والمشكلة الفعلية هي أن معظم الرجال المسلمين لا ينشدون هذا المقام، ولو أن

(١) القرآن الكريم، النساء: ٣٤

أحدهم اكتسب هذا المقام فعليًا وعن جدارة، يكون في تلك الحالة قادرًا على توفير الحماية للمرأة كما ورد في الآية، وهذا عدل.

**جواب الدكتور هوفمان على التعليق:** لقد قمت بمقارنة حوالي ٢٧ ترجمة مختلفة لتلك الآية إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية، وأقول: إن معظم الترجمات الجديدة لم تعد تنقل كلمة "قوامون" على أنها وضع الرجل في مرتبة أعلى من المرأة، بل تقول "يجب على الرجال أن يعتنوا بالنساء ويوفروا الحماية لهن". والحق أقول لكم إنه لو أوكلت ترجمة هذه الآية إلى نساء منذ قرون لاختلف الأمر. فكثيرات هن النساء في الغرب اللواتي تعتنقن الإسلام عن اقتناع بأنه طريق أفضل نحو تحرير المرأة. فهو يصون كرامتها، ويراعي ذكاءها قبل جمالها. وهن يرين أن المرأة قد حققت نتيجة عكسية في الغرب، فلا زالت هناك مسابقات ملكات جمال تشكل حقًا تحقيرًا للمرأة، كما تستخدم النساء لبيع أي شيء، ولا زالت المرأة مجبرة على منافسة الرجال في ميادين يصعب عليها المنافسة فيها بسبب طبيعة تكوينها، فترى المرأة أن هذا

الطريق خاطئ، وأنها تريد نفس الشيء، وأن تكون مقبولة كشريك، وأن تكون مقبولة كإنسان له كرامة، والإسلام يكفل ذلك لها، وهي لذلك تنطق بالشهادتين وتعلن إسلامها.

# المراجع

خورشيد أحمد، "الإنسان ومستقبل الحضارة: منظور إسلامي"، مجلة انكاونترز، المجلد ١، العدد ١، ماركفيلد، المملكة المتحدة ١٩٩٥م.

طلال أسعد، مقابلة بمجلة جوردان تايمز، عمان، الأردن، ٢٢ يوليو ١٩٩٧م.

رالف بريبانتي، "الإسلام والغرب: السبب المشترك للصراع"، المجلة الأمريكية للدراسات الاجتماعية الإسلامية، المجلد ١٦، العدد ١، ربيع ١٩٩٩ وجامعة جورجتاون، واشنطن دي سي، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٩٩م.

أحمد داود أوغلو، "صراع المصالح: تفسير للفوضى العالمية"، مجلة انترناشونال دسكوشن، المجلد ٢، العدد ٢، اسطنبول ١٩٩٤، ص ١٠٧ .

فرنسيس فوكوياما، "نهاية التاريخ"، مجلة ذا ناشونال إنترست، ربيع ١٩٩٠، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، نيويورك ١٩٩٢م.

صمويل هنتنجتون، "صراع الحضارات"، مجلة فورن أفيرز، صيف ١٩٩٣، المجلد ٧٢، العدد ٣، واشنطن دي سي، الولايات المتحدة الأمريكية.

"الغرب: فريد، وليس كونيًا"، مجلة فورن أفيرز، المجلد ٧٥، العدد ٦، شتاء ١٩٩٦م.

"لم يضع الغرب بعد"، صمويل هنتينجتون، مقابلة مع الصحيفة اليومية دي فيلت، هامبورج، ألمانيا، ٢٩/٢٨ يونيه ١٩٩٧، ص ٤٨ .

بارفيز منصور، "إزالة صفات القداسة عن الدنيوية"، المجلة الأمريكية للدراسات الاجتماعية الإسلامية، ١٩٩٥، المجلد ١٢، العدد ٤، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

علي المزروعي، "الإسلام ونهاية التاريخ"، المجلة الأمريكية للدراسات الاجتماعية الإسلامية، شتاء ١٩٩٣، المجلد ١٠، العدد ٤، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

محب الرحمن، "صراع حضارات أم صراع أفكار؟"، الميزان، ١٩٩٦، المجلد ١، العدد ١، لندن، ص ٣٨ .

عمر ثابت، "مقالة عن صراع الحضارات والديموقراطية: التحدي الإسلامي"، مجلة شؤون الشرق الأوسط، ١٩٩٦م، المجلد ٢، العدد ٤، أنانداىل، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٣٩ .

إدوارد سعيد، "عن الإسلام"، لندن، ١٩٨١م.

أرماندو سالفاتوري، الإسلام والمعالجة السياسية للحداثة، ردنغ، المملكة المتحدة، ١٩٩٧م.

ظفر سينوساك، "بين الشرق والغرب"، مجلة دي زيت، ٢٦ مايو ١٩٩٥، هامبورغ، ألمانيا.

شاهين، العربي التلفزيوني، بولينج جرين، أوهايو، الولايات المتحدة الأمريكية.

❖ ❖ ❖

# تعريف

كتاب **نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث** هو دراسة متكاملة للمجتمع الإسلامي ومرحلة صحوته قائمة على تجارب وخبرات فعلية، تلقي نظرة تحليلية على التفاعل بين الحضارات وتجيب على الهواجس والشكوك التي تحيط بالإسلام والتي حيرت الفكر الغربي، كما تستعرض قدرة الإسلام على إنقاذ العالم من الانحطاط الأخلاقي، وتتناول تقييم النصرانية كديانة، كما تتناول الدين الإسلامي كإطار لتنظيم حياة البشر في العصر الحديث. ويحتوي هذا الكتاب على مجموعة من المحاضرات ألقاها العالم الألماني الدكتور مراد هوفمان Murad Hofmann خلال سلسلة محاضرات نظمها معهد الدراسات السياسية of Policy Studies Institute في العام ٢٠٠٠ إحياءً لذكرى كرم مراد.

**كرم مراد** Khurram Murad (١٩٣٢ ـ ١٩٩٦)، أحد قادة الحركة الإسلامية، صاحب رؤية فذة، نذر حياته لدراسة ونشر تعاليم الدين الإسلامي والقرآن الكريم، ولعب دورًا أساسيًا في تشكيل مسار واتجاه الصحوة الإسلامية في العصر الحديث.

شغل منصب مدير عام المؤسسة الإسلامية بالمملكة المتحدة، وألف أكثر من خمسة وثلاثين كتابًا ورسالة بالأوردية والإنجليزية. كما شغل أيضًا منصب رئيس تحرير مجلة ترجمان القرآن Tarjuman al-Qur'an ومجلة مراجعة كتب العالم الإسلامي Muslim World Book Revied.

**الدكتور مراد هوفمان** عالم ألماني معروف اعتنق الإسلام. درس في كلية الحقوق بجامعة هارفارد، وفي جامعتي بون والجزائر. شغل منصب مدير عام شؤون حلف شمالي الأطلسي والدفاع بوزارة الخارجية الألمانية (١٩٧٩-١٩٨٧م)، ومدير عام الإعلام بحلف شمالي الأطلسي في بروكسل (١٩٨٣-١٩٨٧م)، وسفير ألمانيا لدى الجزائر (١٩٨٧-١٩٩٠م) ولدى المغرب (١٩٩٠-١٩٩٤م). من أعماله المعروفة "يوميات ألماني مسلم"، "الإسلام هو البديل"، الإسلام ٢٠٠٠"، و"رحلة إلى مكة المكرمة".

**معهد الدراسات السياسية** هو مؤسسة فكرية مستقلة متخصصة في مناقشة قضايا هامة. ويقوم المعهد بأبحاث في مجالات أساسية منها الاقتصاد، والتعليم، ودراسات باكستان،

والأمن، والسياسة الخارجية، والدراسة التجريبية لنظام الحكم الإسلامي. وقد أنجز المعهد على مدى ٢١ سنة منذ تأسيسه دراسات محلية ودولية، واضعًا إمكانياته في خدمة العلماء، والمحللين السياسيين، والمفكرين، وعامة الناس، ونشر رسالة الدين الحنيف. وقد قام معهد الدراسات السياسية حتى الآن بنشر أكثر من ١٧٠ كتابًا، وتنظيم أكثر من ٣٥٠ ندوة، وإصدار أكثر من ١,٠٠٠ تقرير.

**معهد الدراسات السياسية**

نصر تشامبرز، ف-٧ مركز، إسلام أباد

هاتف: ٣/ ٢٦٥٠٩٧١-٠٥١ ، فاكس: ٢٦٥٧٠٤-٠٥١

بريد إلكتروني: ips@ips.net.pk،

عنوان موقع الإنترنت: www.ips.org.pk